الفهرس

الباب الأول
مقاربات حضارية 7

الفصل الأول : مقاربة ثقافية للنقوش العربية القديمة 9

الفصل الثاني: النقوش المسندية 21

الفصل الثالث: مدخل إلى حياة العرب الشماليين 33

الباب الثاني
تكريس القرابين والتقدمات عند العرب 53

مقدمة 55

الفصل الأول: التقدمات وأنواعها 57

الفصل الثاني: المكرسون 91

الفصل الثالث: دوافع التقدمات 101

الفصل الرابع: الآلهة التي كرس لها العرب تقدماتهم 119

الباب الثالث
الهوية الحضارية العربية في النقوش العربية الشمالية 187

الفصل الأول : مدخل ثقافي تاريخي 189

الفصل الثاني : الثموديون معالجة تاريخية 195
الفصل الثالث : الصفويون معالجة تاريخية 203
الفصل الرابع : الهوية في النقوش 215
الفصل الخامس : صور وعادات مجتمعية 223
الفصل السادس : شِعريّةُ المكان: 243
الفصل السابع : أنسنة النقوش 249
الفصل الثامن : صوغ جغرافية النقوش: 253
الفصل التاسع : الأبعاد الوجدانية 257
الفصل العاشر : الألسنية والأثنولوجيا 263
الفصل الحادي عشر : الأنشطة الزراعية والرعوية 273
الفصل الثاني عشر : الآثار البيئية الطبيعية والسياسية 289
الفصل الثالث عشر : المؤدى والمرتجى 305

الباب الرابع 321

محظورات الحج والمرأة في طقس الحج في النقوش السبئية

الفصل الأول : ذكر المرأة في الحج في المصادر العربية 323
الفصل الثاني : لم تعن المرأة بأمر الحج عناية الرجال؟ 335
الفصل الثالث : شواهد النقوش العربية الجنوبية 341
خاتمة أم مفتتح؟ الحوار أو العزلة 351

الباب الأول
مقاربات حضارية

الفصل الأول

مقاربة ثقافية للنقوش العربية القديمة

لا ندري بدءا مدى مطابقة محتوى النقوش في الحيز المكاني للواقع.. ولا نعلم إن كان المضمون مدونته أم العالم الموازي له، يتشكل وفق مشتهى النّقّاش.. فإذا كان النص النقوشي عالم صاحبه الضيق ومَبَثَّ شعوره.. فهل يصل إلى المتلقي بُعدا معرفيا يُعوَّل عليه في فهم بيئته المكانية؟ وهل تَمَلّك صاحبُ النقش أو مجموعة النقوش في جغرافيتها اللامة لها الإحاطة بما حوله؟.. كلما اقتربنا من أكوام النقوش في رجومها .. ندرك حجم الهوّة التواقة للردم بين ما نعرف ويعرف أصحاب تلك النقوش. إنّ النقش عالم صاحبه الوجداني والمعرفي المُسطّح.. لا يعنيه من الفراغ الممتد حوله إلا شفار ما يُشكل مصيره..

لا تشي النصوص النقوشية بالمجمل بمتخفٍ.. عدا ما يتلو صيغ الدعاء من رغبات ودعوات تواكلية بتصيّر الحال.. أو ما يجاور النص من رموز ورسومات نقاربها مع النص تأويلا.

والسؤال: هل نترجم النقوش، كما فعل علماء الاستشراق، الذي شغلوا بالنصوص السامية؟ أم نتفهمها؟ مستثمرين قرابتنا الجغرافية والتاريخية واللغوية والأنثربولوجية وربما الإثنية مع أصحابها؟.. فنقارب بين المدلولات والعلل.. ونستثمر الموروث في ترميم النصوص وبعثها على نحو سردي تراتبي!

نُقرُّ أنّ عالَم النقش محدود، وذاتي، ولكن له في أعماقنا، أفراداً ومجتمعاتٍ، ما يمكن العثور عليه؛ فسلسلة النسب، وجمهرة التضرعات.. وبقايا المفردات تتموضع واقعا مُتقبَّلاً، نتظاهر حوله قبولاً أو نكراناً، ونعيه متكأً ثقافياً أولياً يؤازر المشترك التراثي، وهو ما يمنحنا فرصة رسم مسارات الأنشطة والمعارف والمفردات المحفورة في النصوص النقوشية من لحظات تَخَلُّقِها في عالم أصحابها إلى لحظة المتلقي، الذي ينبري لبناء هيكل المقاربة الإثنو ـ أركيولوجية والاشتقاقية، دون إعفائه من البرهنة والاستدلال، مع منحه فسحة التهويم والتأويل والتخمين لجسر الهوة التي يفرضها صمم النقوش وقصرها .

تتجلى حدود التواصل في مجتمعات البادية عند العرب قبل الإسلام ، الطبيعية والاجتماعية، من خلال عدد من المواقف الاتصالية التي تطرحها النقوش، ومنها : حد الانتماء القبلي، وعلاقة العمل، والتواصل الديني، والموقف الاحترازي تجاه من يخرب النقش. ويبلغ التواصل حد الارتقاء في قراءة وكتابة الأسفار، وفي التعاطي مع إشكالية انعكاس ذلك على الخصائص الحضارية لمجتمع العرب أرباب هذه النقوش.

وتفتقر النقوش إلى حيوية النص، التي تمنح مفتاح الولوج إلى عالم أصحابها الداخلي، وهذا مدعاة الباحث إلى تصيُّد الشذرات وتناثر المعلومات في مجموعات النقوش ومدوناتها والتوليف بينها على نسق سردي يضفي إلى أفقٍ معرفيٍ يؤسس لحقيقة درس تلك المجتمعات.

وينبغي أن ينبري المرء في استقرائه للنقوش، من وجهة الأنثروبولوجيا اللغوية، في فهم دلالات الأسماء والأفعال الواردة فيها، وارتباطها بمجتمع العرب القدماء، والاتساق الداخلي فيما بينها، وبينها وبين المجتمع من حولها، والالتفات إليها بوصفها ظاهرة اجتماعية، وتدارك الأنماط السلوكية فيها . والبحث في مسألة إلغاء التعارض فيما

بين صاحب النقش بدلالات سلسلة النسب وبين مجتمعه.

فهل نستطيع بناء معقولية سردية تاريخية عن مجتمع العرب الشماليين؛ اللحيانيين والثموديين والصفويين، من خلال ما خلَّفوه إرثا مفككا ومبعثرا، مليئا بالثغرات؟ وهل ثمَّة محرَّمات في مقاربة المصادر التاريخية والدينية مع فحوى تلك النقوش لتفهم ذلك الواقع؟.. ونحن نعرف، سلفاً، مدى الانفلات الذي يتحصل جراء تلك المقاربة!

وتصوغ جغرافية العرب قبل الإسلام في البادية عاملاً فصلاً في إذكاء حالات إنسانية تماهت في جوهر الصراع مع البيئة الطبيعية والبيئة الديموغرافية المحيطة، الذي تورده النقوش وروداً لحوحاً. فلقد انبثت النقوش العربية الشمالية فوق أصقاع تباينت طبوغرافيتها؛ فكان من بينها النجود والنهاد، ومنها أراضي الحرّات الحمّاد، ومنها ما تشكل في السهول والأودية الضحلة. وقد تميزت هذه المواقع بتذبذب معدلات سقوط الأمطار، وقلتها، وبمناخ جاف شبه صحرواي، أثر على الغطاء النباتي، الذي جاء رعوياً، قصير العمر.

إننا نحتاج في قراءة النصوص النقوشية مثل سواها من الموروثات الكتابية إلى فهمين: بيئة النص وطبيعته من جهة، وهويته الزمنية والمكانية من جهة أخرى. وتعوزنا في تحليلها إلى أدوات غير انتقائية أو احتشادية، تنتصر للفكرة التي تقفز إلى ذهن المنبري لها.

إن أغلب ما قام به الباحثون في علم النقوش حتى يومنا هذا نظرات أولية، تقوم على الرصد والتوثيق والنقحرة والترجمة ودراسة المفردات معجميا، ونادرا ما قفزت تلك الدراسات فوق هذا نحو التحليل المعمق والتأويل الذي يصل إلى الحقيقة أو يحوم حولها أو حتى يُنَظِّر لها.

ولقد جاءت مدونات النقوش منذ البدايات في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات

القرن العشرين وحتى هذه الساعة راصدة موثقة مترجمة مع تعريجات حييه على التناول المعجمي المفكك للمفردات.

ولسنا نقلل من شأن ما قام ويقوم به الباحثون في هذا الحقل؛ ولكنها مراوحة المكان، فما هي إلا قراءات وقراءات موافقة أو معدلة أو نافية، فالجهود المبذولة تهوم في دائرة مغلقة، طوباوي أن تفكر خارج إطارها، في فتات قد يسهم في التنظير لعلم جديد يفتح آفاقا أرحب في دراسة المجتمعات العربية الشمالية من خلال نصوصهم، فالشعر الجاهلي، مثلا، ظل أسير المعنى المسطح والقاموسي للمفردات، إلى أن تجرأ مبدعون على الترميز والتأويل وإعادة الطرح في قراءات جديدة لكل ما كتب بدءا من مصادر التراث الأولية. إن ما لدينا من نقوش يفوق كثيرا ما لدينا من الشعر الجاهلي، ولكن النصوص النقوشية قصيرة ونمطية، ويبخل النقش كثيرا بالمعلومات، وأخال أن تناول النقوش في صورتها الأولية مقبول وضروري لمنحه شرعية التحليل مع مدونة النقوش بصورة شمولية وفق بناء تكاملي وعلى نحو سردي.

ونمضي في التساؤل: هل في النقوش العربية الشمالية وحدات كبرى دالة على الخطاب؟ سواء في النقش منفرداً، أو في مجموعات النقوش! وإن لم ينسحب هذا على النصوص، فهل في الرموز والرسومات المصاحبة ما يحوم حول ذلك، مُشكِّلةً دلالات أولية تضيء المسلك نحو ذلك الخطاب؟

لقد انسابت كثير من القبائل العربية وفق حركية دائمة التدفق والتجدد، بيد أنها هنا في حالة تجدد غير محمود، وفق منطوق التسطيح الأفقي للأشياء، إذ ذهب ذلك بالمجتمع العربي القديم إلى حركة فيزيائية حتمية، لم تلتفت إلى مسألة الارتقاء الحركي الرأسي المتزامن مع الامتداد الأفقي، فلم يخرج المجتمع قرونا من جدلية الاستقواء، والاستقواء المضاد والثأر، والثأر المضاد.

وينبغي لنا تفهم بقاء ذلك المجتمع رهين القلق في الفضاء المكاني الممتد المفتوح، المتحرك وفق متطلبات الظروف البيئية، حيث السعي إلى توفير مصدر الرزق الكامن في مستلزمات التكوين الكوني الأساسية من ماء وكلأ، والمشوب دائما بهاجس الهلاك الكامن في مغامرة البحث الدائم، أو الخطر البشري الداهم من الآخر، الذي يسكنه نفس الهاجس وتتحكم به ذات الحاجة.

نجزم أن النقوش العربية الشمالية تحمل دلالات شكلية ظاهرة، تشكل قوام النقش، تقوم على ما اتفقت عليه جمهرة الباحثين في علم النقوش، ولكن المشكلة في توقف الباحثين عند هذا المدى، دون تجشم عناء البحث في مدلولات المضامين وفلسفتها، بما يمنحها حيوية المقاربة مع المجتمع العربي في حواضره وبواديه، ونظم جملة المقومات المجتمعية بالمعاينة الحثيثة للنصوص، ومقابلتها فكريا واجتماعيا مع مقابِلاتها من المجتمعات العربية وقتئذ.

وفي إطار النسق الزمني لا نجزم أن نقوش العرب القدماء قد وثقت الزمن على نحوه الخطي، فلا بدّ من رصد تحركاته، واستكشاف كيفية وآلية تطويع أصحاب النقوش له.

يعتبر الزمن عنصرا أساسيا في وحدة النقش، وإن غاب في كثير منها، غير أنه لا يقع، تارة، في صلب الحدث، بل يوثق زمانه فحسب. وفي مقابل هذا نجد أن نسيج الزمن، في غير موضع، أساس البناء الرئيس في وحدات النقش.

تحفل النقوش العربية الشمالية التي تعرض للزمن بخصوصية زمن صاحب النقش؛ مثل: «سنة مر بهذا الوادي» أو «سنة رعى الإبل»، أو بخصوصية الزمن البيئي أو المحلي، مثل: «سنة حرب عويذ مع آل جشم»، وفي مرات أقل ذكر الزمن في سياقه التاريخي، ومثاله: «لجل بن غنث، وهرب من الروم، فيا اللات السلامة، سنه٣»، أو «... سنة قدوم

الفرس إلى بصرى» . وينبغي على الدارس الالتفات لهذه المقاربات الزمنية محركاً وقتياً للحدث في بيئاته المختلفة، وإن كان الزمن الذي يضعه صاحب النقش في نصه محررا إلى حد معقول من عنصر اللحظة بعض المرات، فهو علامة فارقة لا أكثر، لا تسعف الباحث في تحديد الزمن التاريخي للنقش، ولعله معلومة تتجه في مدلولها نحو اللفظة ولا تتعداها إلى سواها، مثل: «سنة قيظ في هذا الوادي» ، فأي خيط تاريخي نبتغي؟ فهذه الجملة في نظر الباحث تدخل في سياق تعداد فصول السنة، وفي رسم البيئة التضاريسية للمكان الذي حل به صاحب النقش صيفاً .

لا توثق النقوش العربية الشمالية لزمن قادم في سياق ذكر الوقت أو التاريخ أو الحدث، ولكنها تلمسه في سياق اللعنات أو الرحمات التي تعقب التضرع للآلهة، فتحل المضارعة المستقبلية مكان الفعل الماضي، «فيا اللات الموت لمن يخرب هذا النقش» .

وتدخل مدة الحدث التي يوثق النقش حيز البيئة الزمنية أيضا، «ورعى الضأن سبع سنين لمغير» ، فعلاوة على كون الجملة خطاب زمني، فإنها تعالج قضايا اجتماعية واقتصادية وحياتية، ينبغي التصدي لها في سياقي الخبر والتحليل.

إنّ السنة والعام في النقوش مبتدأ ومنتهى، يتعاطاها العربي بإيقاع زمني تراتبي: «لسعد ... . وحزن على صاعد عاما بعد عام» ، و«لعنزة بن جاد .. وعاد من وقت إلى آخر عدة أعوام» و «لأوس بن قصية هذا المسكن عاما بعد عام» ، و « ... وكان عليلا سنة بعد سنة، فيا رضا الراحة من السقم» .

وكأنما يطوي العربي، صاحب النقش، الزمن سريعاً ليؤكد على أهمية الحدث دون سواه، فالحزن على صاعد، وملكية أوس للمسكن، والعلة، وتكرار المعاودة هي مركز الحدث استعلاء على الفضاء الزمني.

إنّ طبيعة النقوش العربية الشمالية القصيرة والمقتضبة تختزل جزءا من زمن الحدث، «... وجلس سنة القتال مع اليهود» و «... سنة مرور الأنباط بهذا الوادي» ، فإي سنة تلك التي حدث فيها قتال اليهود؟ أو تلك التي مر بها الأنباط بالوادي؟.. لم يمارس صاحب النقش الحذف زهدا في المعلومة، ولكنه لا يروي تاريخا ولا يرمي بثه أحدا سواه ومحيطه الاجتماعي الذي يعي الحدث وعيا تاما . هذه السَقَطات مَعيب النقوش، فالزمن غير المصرح به أو المعتم يذهب بالباحث إلى التخمين والاستنتاج أو التخطي، وهو أمر دفع بعض المعنيين بدرس النقوش أن يحلف برأس أبيه، تجنياً، بأن ما يعنيه النقاش هو هذا الحدث أو ذاك، فيغدو الزمن ما أراد، لا ما أراده صاحب النقش في قرونه التي خلت تلك!

إن الزمن في النقوش العربية الشمالية زمن خاص، هويته الشخص أو القبيلة أو المضارب، وعلينا تعاطيه وفق هذا المنحى، فهو في غالب الأمر مبهم، فنحن نستشعر الزمن الوارد في النقش من خلال تلك المسندات المجهولة أو المهمشة في تضاعيف التاريخ.

وفي منحى أنسنة النصوص والبيئة تعكس عشرات الآلاف من النصوص التي تحتضن البادية العلاقة بين الإنسان والمكان، وبين الإنسان والإنسان، تلك هي المسألة التي تسردها الحجارة والنقوش، فقصة الخلق تلك، والأرض التي تماهت دماً في شرايين فارسها العربي، وقد كانت شغله الشاغل، ومعشوقته التي طرزها قلائد شعر له، وقدّمها أنثاه الجميلة فصارت ندىً لأرض الحماد، ونبراساً للحَرّات وحِسمى، وهي العصية الجسورة بخيلها وفوارسها، والسهم الذي شقّ عباب الغيم، لحظة لامست جفنيه ريح الصّبا، فصارت حجارتها ونقوشها مستودع سرّها وسيرتها، وضمير أمتها .

وعلى امتداد مساحات هذه البوادي، نتصفح إرثها الحضاري الواسع، ونستشعر

عصورها المتعاقبة، باستقراء حثيث لجغرافيتها ومجموع العلائق المتشابكة، من رعي، وتجارة، وزراعة، ووجدان فياض، وشموخٍ بقدسية ذراتها، وهي ترنو إلى الآفاق والحقب البعيدة كأنها تسعى لفك رموز الخلق والتكوين أو كأنما بدت نادمة على رفض الأمانة وخجلى من النظر إلا للبعيد البعيد.

إن نقوش البادية، بكل مفرداتها المكتنزة بذاكرة البرد والخوف، والسكن والطمأنينة، والضعف والاستقواء، وبذاكرة الفرح والحزن، ظلت رغم القرون خالدة بسنا ابتهالاتها ووجد أحاديثها الغابرة، حاضرة فينا نسترق السمع من كل الدهور الغابرة.. تعلو أنشودة ما ضاعت قوافيها، فانطلق الخيال في بيدائها أنغاماً وحدواً ونجوى قيس العذارى.

لم تكن البوادي العربية مفقودة في سفر التاريخ، بل مخبأة في تضاعيف الروح، ألمَّ بها العشاق، دالوا بها مجرى الدم في العروق، ورنوا إلى مجدها، فكانت بواكير أشعارهم وأثافي حروفهم. وها هي أسفار أهلها تفترش الأرض، تنشد أهزوجة التاريخ خالدة، وسامية في سماء البوادي، عذبة في رقراقها، ثملة تسكب راحها في الروح، بادية العرب لا شتات حمى ولا نبو سيوف، بل خيل جامحة في الصدور، طاب فيها اللقاء وطابت المنازل.

وهكذا فقد كشفت النقوش العربية الشمالية، تاريخاً طويلاً لحركة دائبة في المنطقة، ووشت بالكثير الكثير من أسرارها لاستكناه مكوناتها الثرة والطافحة بمجد العصور الممتدة إلى ما قبل القرن الثاني قبل الميلاد، مما يحتاج إلى بحث مستفيض، ووقوفٍ طويل لإحصاء ومحاكمة هذا الكم الهائل من النقوش والنصوص والأثر، وبما تختزله حجارتها من عوالم ظلت صفحة مطوية آلاف السنين لأجيالها الحاضرة، ولتلك التي لم تأت بعد، بتناغم مذهل لاتجاهاتها، مشكّلة فيما بعد أعظم أسطورة بنتها تلك الأكف السمراء والأجساد النحيلة، والكثير من الجوع والعطش.

إن الباحث عندما يدخل إلى مناطق الحمّاد والحرّات يضل مسكوناً بها جس الاستكشاف وروح الفضول، والحقيقة بهذا الجانب هي البادية كحاضنٍ ورؤى باستكشاف ذاته، دون تآمر مسبق بين حميمية تلك الرجوم المترامية على المسافات، وقد ظنها الباحث قليلاً، ولكنها علامات طريق يجد فيها ضالته، وهي المحروسة بالشمس والمسيجة بكل تلك المفازات، فحين تقع عيناه على نص فوقها، لم يقرأه أحدٌ بعد كاتبة إلا هو، تولد ذروة انتشاء الكشف للتواصل الوجداني بين الحاضر والغائب: وبين الباحث والحجر.

تستفزنا الأمكنة، وينثال عبق الماضي بكل رموزه ومتونه، مسكوناً بألمعية تعيد الروح بالمرسلات، فكلما أعملت فيها معول البحث أتقدت في الحنايا لهفة استكناهها وفك رموزها، فَتَصّعَدُ النفس رفعة وتشرفا، حاضرة في الزمان، تسكن الصدور نوراً، تتدارك ظلمة الأحقاب، وطلسم أسرار المفاوز. ويخال لي أن مسألة البحث في المدلولات، التي تشير إليها حركية الأفعال، في عشرات الآلاف من نقوش البادية الأردنية، وفهم السلوك الثقافي والاجتماعي الكامن في معانيها، وبلوغ المدرك، في اتساع أفق مجتمع البادية، قبول هذا السلوك، هو جوهر استنطاق مكنونات النقوش، وتلمس التوافق النصي المسكون في لغة النقش؛ من حيث تكاملية الحالة الاجتماعية والثقافية، وهو بذل المستطاع في نقحرة رمزية النقوش، واستقرائها، وفتح نافذة لرؤية عالم كاتبيها على وجه قريب.

الفصل الثاني

النقوش المسندية

لقد كشفت النقوش العربية الشمالية، تاريخاً طويلاً لحركة دائبة في منطقتنا، ووشت بالكثير الكثير من أسرارها لاستكناه مكوناتها الثرة والطافحة بمجد العصور الممتدة إلى ما قبل القرن الثاني قبل الميلاد، مما يحتاج إلى بحث مستفيض ووقوفٍ طويل لإحصاء ومحاكمة هذا الكم الهائل من النقوش والنصوص والأثر وبما تختزله حجارتها من عوالم ظلت صفحة مطوية آلاف السنين لأجيالها الحاضرة، ولتلك التي لم تأت بعد، بتناغم مذهل لإتجاهاتها مشكّلة في ما بعد أعظم إسطورة بنتها تلك الأكف السمراء والأجساد النحيلة والكثير من الجوع والعطش الأمر الذي ساهم بأن ترفع دولة الأنباط العربية وتيرتها بقوة وتعمل على صون تلك المقومات لها حتى تملأ الأسماع وتغازل القلوب وتترك لنا حنيناً لا ينضب للحارث الثالث أحد ملوكها المميزين إضافة إلى ما إستطاعت هذه الدول أن تحققه من دورٍ ريادي بالإبقاء على حركة التجارة المارة عبر المنطقة ضمن مستوى عالٍ من الأمن في كافة مناطق نفوذها والذي إمتد في كل الأرجاء والفضاءات، قلبها الأردن، وأذرعتها في سيناء والحجاز وحوران وسواحل البحر المتوسط في فلسطين.

والخط المسند، وإن اختلف في جزئيات أشكال الحروف، فهو في جوهره واحد،

وما زال الباحثون يعيدون المسند في الشمال إلى الجنوب، أو المسند في الجنوب إلى الشمال، وقد تباينت آراؤهم في ذلك، ولكنهم لم يتزحزحوا في جعل أصله واحدا. ولا مندوحة في أن الاختلاف يظل قائما في أسبقية أحد شقية الشمالي أو الجنوبي. وقد غيرت مخلفات المعينيين النقوشية والأثرية في العلا، في الحجاز النظرة إلى أصول الخط المسند الجنوبية، فها هو الألماني جريمة يعيد أصول المسند إلى موطن الكنعانيين في بلاد الشام، وإلى تأثر العرب الثموديين بالكنعانيين، وعرب شبه جزيرة سيناء، ومنهم انتقل من الشمال إلى الجنوب. ويبقى ما ذهب إليه فرضا يفتقر إلى الدلائل المادية المعمقة، وبقي الأمر قلقا ومتأرجحا بين هنا وهناك إلى يومنا هذا. ولسنا نرغب في تغليب أحد الفرضين على الآخر، وسوف نسوق ما ذهب إليه وينت، ومن بعده ماكدونالد، من تقسيمات للخط الثمودي. فقد قسم وينت الثمودية حسب جغرافية تواجد النقوش إلى خمسة أقسام، وهي: الثمودية A, B, C, D, E، وجاء هذا التقسيم وفق أشكال الحروف، وبدايات النقوش، وجغرافيتها. وجعل أقدمها متأثرا بالديدانية، وهو فرض مقبول، إذ كان الثموديون قد عايشوا اللحيانيين، ورثة مملكة ديدان وسط وشمال جزيرة العرب، خلال مراحلهم الأولى.

ويعد تقسيم الكتابات التي وجدت في الجزيرة العربية قبل الإسلام إشكالية، فقد كان الطرح القديم يقسمها إلى ثلاثة أقسام: العربية الشمالية، بفروعها الثلاثة: الصفوية، والثمودية، واللحيانية، والقسم الثاني: العربية الجنوبية؛ بأقسامها: السبئية، والمعينية، والقتبانية، والحضرمية، والأوسانية، والقسم الثالث الجعزية في الحبشة. وقد أخذت الدراسات الحديثة تنتقد هذا التقسيم، لأنه لا يعتمد على تقسيمات واضحة، ومن هذه الدراسات؛ دراسة ماكدونالد، الذي حاول أن يرسم فيها خريطة جديدة للكتابات العربية، في شمال الجزيرة وجنوبها، وقد اقترح تقسيما جديدا اعتمد على تحديد

الموقع الجغرافي لأماكن تواجد النقوش، ففي نقوش شمال الجزيرة، وضع التقسيم المقترح التالي:

التيمائية مقابل الاسم القديم الثمودية A

تيماء من مواطن قبائل ثمود، والذين امتدت بهم الجغرافيا على طول شمال غرب جزيرة العرب. ونتساءل عن الثموديين أصحاب النقوش، ومدى علاقتهم بثمود الذين ذكرهم القرآن الكريم، الذين جابوا الصخر بالواد، وسكنوا الجبال، وكانوا بطبيعة الحال وثنيين، فأرسل الله تعالى نبيه صالحا، عليه السلام، فعصوه، فبادت هذه القبيلة، ولم يعد من آثارها أثرا، وفق إشارات القرآن الكريم. وهذه إجابة صريحة على بطلان العلاقة بين ثمود النقوش وثمود الذين بادوا.

الديدانية مقابل الاسم القديم الديدانية والحيانية

يوضح القدرة، وغيره ممن اشغلهم فهم النقوش اللحيانية، ضرورة عدم فصل النقوش اللحيانية عن النقوش الديدانية، وذلك للتشابه الكبير في الألفاظ والخط ووجودهما في ذات المنطقة، بالإضافة إلى التقارب الزمني فيما بينها. وبيان حقيقة أن اللغة اللحيانية هي أقرب اللهجات العربية الشمالية إلى اللغة العربية, إذ تشترك معها في كثرة ألفاظها الكاثرة. كما وتبين دراسته أن اللغة اللحيانية أغلب من غيرها من اللغات السامية الجنوبية، في استعارة ألفاظ من اللغات السامية الأخرى؛ كالأكادية والفينيقية والآرامية .

جاءت حروف النقوش اللحيانية، السبعة والعشرين، على غير العربية الجنوبية، من حيث دقة التزوية في الحروف، وعدم التزام الحرف شكلا تقريبيا واحدا، وعلى غير العربية الشمالية من حيث غياب الليونة في أشكال حروفها. وتلتقي اللحيانية مع النقوش العربية الجنوبية في استخدامها الفاصل بين الكلمات. وجاء الفاصل على

شكل خط عمودي، أو خطين أفقيين متقابلين، أو نقطتين متقابلتين، أو نقطة واحدة, ولم يكن هذا مطردا في كل النقوش، إذ خلت بعض النقوش من الفواصل بين كلماتها .

واللحيانيون، على الأرجح، من جنوب الجزيرة العربية أصلا, وففي في نص عربي جنوبي قصير نقرأ: (أ ب ي دع ذ ل ح ي ن) أي (أبيدع ذو لحيان).

انتقل اللحيانيون إلى شمال الحجاز في الجزء الشمالي الغربي من الجزيرة العربية، في وقت ما قرابة القرن الخامس قبل الميلاد، وامتد ملكهم في ديدان حتى نهايات القرن الأول قبل الميلاد، أو إلى بدايات القرن الأول الميلاد على أقصى تقدير. ولعل الجدل في بدايات لحيان وانتهائها لن ينتهي ما دمنا لا تملك الدلائل الكتابية والأثرية على استمرارهم إلى ما بعد القرن الثاني قبل الميلاد. وذهب كاسكل، وهو من أكثر الباحثين اهتماما بالكتابات اللحيانية وبأصحابها، مذهبا خالف فيه ما تبناه جمهرة العلماء، وذلك بإرجاع اللحيانيين إلى الفترة ما بين سنة 115 قبل الميلاد وسنة 24 ميلادية، حيث أنهى الأنباط سيطرتهم، وقضى على مملكتهم.

استقر اللحيانيون في العلا، بعد زوال مملكة ديدان، وأنشأوا ملكا قويا، أفصحت عنه كثرة آثارهم فيها؛ كالنقوش، والمقابر والمنحوتات والتماثيل الحجرية.

بدأ الاهتمام بالنقوش اللحيانية على يد المستشرقين، ومن أهمهم: داوتي، وأويتنج، و هوبر، ومولر، وجاوسن، وسافنياك. وجاء في نهايات العقد الثالث من القرن العشرين وما بعد جهد مستشرقين آخرين، اكتشفوا نقوشا لحيانية ونشروها، ومنهم: جريمه، وكاسكل، ووواينت، وريد. في عام 1973 قام بري هيل وزوجته بتوثيق عدد كبير من النقوش اللحيانية، قام بعدها عالم الساميات جام بتحليلها ونشرها.

أما العلماء العرب، الذين اشتغلوا في هذا الجانب فنذكر العلامة عبدالرحمن الأنصاري، وعبد الله ناصيف، حسين بن علي دخيل الله أبو الحسن، حسين القدرة .

1- الدومية مقابل نقوش الجوف

2-الصفوية: عاش الصفويون على امتداد البادية العربية من جنوب شرق سوريا على طول شمال شرق الأردن إلى امتدادات وادي السرحان وتشعباته جنوب شرق الأردن، وشمال غرب السعودية، وقد عثر على امتداد مناطق سكناهم ما ينوف على عشرين ألف نقش. وهو رقم مؤهل بالضرورة للزيادة في ضوء ما ستسفر عنه المسوحات المستقبلية.

والصفويون قبائل عربية، عثر على بواكير نقوشها في منطقة جبل العرب جنوبي سوريا، في موقع الصفا، والذي راق للباحثين المستشرقين تسمية النقوش باسمه, ولا ترقى أقدم النقوش الصفوية وفق جمهرة الباحثين على القرن الثالث قبل الميلاد، ولم تعش هذه النقوش إلى ما بعد نهايات القرن الميلادي الثالث على أحسن الفروضات.

ولم يقتصر انتشار القبائل الصفوية، كما يتضح من مناطق انتشار نقوشهم، على البوادي آنفة الذكر، بل وجدت نقوشهم إلى الشمال الغربي من تدمر في سوريا, ووصلت غربا في المناطق الداخلية لتصل إلى صور وصيدا في لبنان.

أشتق الخط الصفوي، والذي يضم ثمانية وعشرين حرفا، من الخط العربي الجنوبي المسند. ولكنه أكثر ليونة، حروفه غير مزواة، وأشكالها متعددة ومختلفة نسبيا باختلاف الحجر والنقاش وأداة النقش. ولا يوجد اتجاه واحد للكتابة في النقوش الصفوية، فربما بدأ من اليمين إلى اليسار، وربما بدأ من اليسار إلى اليمين،أو من الأعلى إلى الأسفل، وربما كتب وفق الطريقة الحلزونية، أو طريقة المحراث، أي يبدأ السطر من حيث ينتهي سابقه، ولا يدلنا على موضع بداية النقش سوى حرف اللام الذي جعلوه مبتدأ لنصوصهم. وهي نصوص نمطية بالمجمل، تراحت موضوعاتها بين الدعائية والتذكارية، والتشوق، والرثاء والتحسر والحزن، وبعضها يشير إلى الملكية، وهي نصوص

ذاتية بالمجمل، نستنطق من مجملها معلومات تاريخية ذات بال.

3- الحسمائية وهي التي كانت تعرف باسماء مثل (الثمودية E والتبوكي الثمودي والصفوي الجنوبي)

جاءت الأنماط الكتابية في النقوش الحسمائية متنوعة، فمنها ما جاء مخدوشا خدشا على سطح الحجر الرملي بواسطة رأس مدبب، ومنها ما جاء مطروقاً طرقاً متتابعاً، فجاءت حروفه أكثر سماكة، وجاء بعضها بالخط المربع، حيث تستقيم فيه الخطوط وتتضح الزوايا، وجاء نمط الخط السميك، ذو السطح الهش فيما بينها كثيرا.

وتنسجم أنماط الخطوط في هذه المرحلة مع النمط الذي يسميه العلماء الثمودي التبوكي، والذي ساد في المنطقة، ما بين القرن الثاني قبل الميلاد ويستمر حتى القرن الرابع الميلادي. لقد جاءت بعض النقوش من حيث الوجهة أفقية، أو عامودية، بينما جاء بعضها دائرياً، وفق الطريقة الحلزونية.

4- الثمودي B, C, D او الثمودي الجنوبي

5- الإحسائي

أما العربية الجنوبية فيرى ماكدونالد أن تسميتها بالعربية الجنوبية تسمية مضللة، والأجدر أن تعرف باسم كتابات جنوب الجزيرة، وقسمها إلى ما يلي :

1- اللغات الصيهدية، وتنقسم إلى: السبئية، والمذابية؛ وهي التي تعرف في العادة باسم المعينية، والقتبانية، والحضرمية .

2- اللغات غير الصيهدية، ومنها : الحميرية، ويمكن أن يضاف إليها المعينية والظفارية.

3- وقد أطلق الباحثون اسم اللغة اليمنية القديمة، أو لغة النقوش العربية الجنوبية

القديمة، أو اللغات الصيهدية، على النقوش التي عثر عليها في مناطق الممالك اليمنية القديمة، وقسمت بحسب لهجاتها إلى: السبئية والقتبانية والحضرمية والمعينية والحضرمية والأوسانية، إلا أن أكثر النقوش انتشاراً، وعدداً هي النقوش السبئية.

4- كتبت هذه النقوش بقلم عُرِفَ بالمسند. ومعنى هذه الكلمة في اليمنة القديمة «النقش». وأطلق المؤرخون العرب هذه التسمية على هذا الخط لشكل وأسلوب كتابته، إذ يستند بعضه على بعض. وما لغتنا العربية الفصحى، والتي وحد لهجاتها القرآن الكريم إلا صدى حقيقيا للغات التي نشأن في الشرق الأدنى القديم، متفرعة عن لغة أم مفترضة، تكاد لغتنا العربية أن تكون الأقرب لها، من خلال استقراء مجموعها من حيث السمات المشتركة فيما وبينها، ومن خلا إظهار نقاط الخلاف بين مجموع هذه اللغات وجعل اللغة العربية الفصحى محكا لها، ولعلنا نجمل هذه اللغات وفق تقسيمها الجغرافي إلى ما يلي:

ـ لغات الشرق الادنى القديم الشرقية: الأكادية والتي انشطرت إلى قسمين، هما: البابلية والآشورية وموطنها بلاد ما بين النهرين.

ـ لغات الشرق الادنى القديم الشمالية الغربية: بشقيها الكبيرين؛ اللهجات الكنعاني؛ وهي الفنيقية القديمة، والمؤابية والعمونية والآدومية والعبرية، واللهجات الآرامية؛ وهي الآرامية القديمة، وآرامية التوراة والسريانية، والنبطية والتدمرية وآرامية الحضر. إضافة إلى تفرع لهجات الشرق الأدنى القديم الجنوبية الغربية، بشقها الشمالي، والذي يضم الصفوية والثمودية واللحيانية، كما أسلفنا.

ـ لغات الشرق الادنى القديم الجنوبية الغربية، بشقها الجنوبي: والذي يضم للهجات السبئية والمعينية والاوسانية والحضرمية والحميرية.

مصادر ومراجع الفصل الثاني

ـ أبو الحسن، حسين بن علي دخيل اللّه، نقوش لحيانية من منطقة العلا (دراسة تحليلية مقارنة)، الرياض، وزارة المعارف، 2002.

ـ الذييب، سليمان بن عبد الرحمن ،نقوش صفوية من شمالي المملكة العربية السعودية ، الرياض 2003.

ـ روسان، محمود، القبائل الثمودية والصفوية، عمادة شؤون المكتبات ـ جامعة الملك سعود، الرياض، 1987.

ـ القدره، حسين، وابراهيم صدقة، طقوس الحج عند السبئيين، دراسات، الجامعة الأردنية 2004.

ـ صدقة، ابراهيم ، آلهة سبأ كما ترد في نقوش محرم بلقيس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، 1994.

ـ عبابنة، يحيى، النظام اللغوي للهجة الصفاوية، جامعة مؤتة،ط 1، 1997م.

ـ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ومكتبة النهضة بغداد،، ج١ ، 1969.

ـ القدرة، حسين محمد العايش، دراسة معجمية لألفاظ النقوش اللحيانية في إطار اللغات السامية الجنوبية، رسالة ماجستير غير منشورة، اربد : معهد الآثار والأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك، 1993.

ـ المعاني، سلطان، نقوش ثمودية من الراجف، دراسات، الجامعة الأردنية، 2001.

- CIH: Corpus Inscriptionum Semiticarum, Pars Quarta, Inscriptiones Himyariticas et Sabaeas Contines, IV.
- CIS: Safaitic inscriptions in: Corpus Inscriptionum Semiticarum pars V (Paris, 1950-1).
- CLL:Caskel,W. 1954, Lihyan und Lihyanisch. Arbeitsgemeinscaft für Forschung des Landes Nordhein-Westfalen, Geisteswissenschaften, 4. Köln - Opladen: Westdeutscher Verlag. 1954.
- Graf, D. The Saracens and the Defense of the Arabian Frontier, Bulletin of American Schools of Oriental Studies, 229 (1978), Pp. 1-26
- SAI: E. Littmann, Safaitic Inscriptions, (Publications of the Princeton University Archaeological Expeditions to Syria in 1904-5 and 1909, Divition IV. Section C. Leiden: Brill), 1943.

- Van den Branden, Historie de Thamoud, Publications de l'universte Libanaise, Beyrouth, 1966.